قيامة المسيح

بحث تاريخي

بقلم المتوراسقف الياس الزياني

تضاربت اقوال علماء الكنيسة في التوفيق بين مختلف ظروف الزمان والمكان التي رافقت قيامة سيدنا يسوع المسيح من الموت على ما ذكرها الانجيليون ، وان اتفقوا جميعهم دون استثناء على حقيقة وقوع القيامة ، كما قد حاول اعداء ديانتنا انكار وقوع حادث القيامة بسبب تناقض ظاهري في ظروف هذا الحادث الخطير بل الوحيد في نوعه ، على ان هذا التناقض او بالاحرى هذا عدم الائتلاف الكامل بين هذه الظروف ، على الرغم من الصعوبات التي تقوم في وجهه ، لا يتجاوز حدود الشكل الظاهر ولا يرتكز في واقع الحال على اساس صحيح . ومن تمعن في قراءة الاناجيل الاربعة بروية وايمان تجلى له وجه الحقيقة على ما هي في ذاتها .

وما غايتنا من المقال الحاضر الردّ على خصوم الدين وتفنيد مزاعمهم الباطلة بشأن قيامة السيد له المجد من بين الاموات . فهذه قضية قد تبلج نورها كالشمس في رابعة النهار . وقد كتب فيها العلماء والآباء القديسون المقالات المسهبة واجلوا غوامضها باصدق البراهين واقواها بحيث لم يتركوا ثلمةً الّا سدّوها دون ان يدعوا زيادة لمستزيد في هذا المعنى . بل انما القصد ان نذلّل ما يعترض من الصعوبات الظاهرة في سبيل سياق الحوادث التي سبقت ورافقت ولحقت حادثة القيامة نفسها . ونجعل من شتيت الاخبار قصةً واحدةً بعينها متناسقة التركيب متماسكة الاطراف . وقد كثرت ولا بأس المحاولات قبلنا للجمع بين هذه النصوص ولكل منها قيمتها

ورواداها [1] فاتينا نحن ايضاً بمحاولتنا هذه ربما تروق لاهل العلم وتعين على ازالة بعض الغوامض .

وهذه هي روايات الانجيليين الاربعة لحادث القيامة :

انجيل القديس متى الفصل ٢٨

« ١ وفي غلس السبت المسفر عن اول الاسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الاخرى لتنظرا القبر . ٢ واذا زلزلة عظيمة قد حدثت لان ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس فوقه . ٣ وكان منظره كالبرق ولباسه ابيض كالثلج ٤ ومن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كالاموات . ٥ فاجاب الملاك وقال للنسوة لا تخفن انتن . قد علمت انكن تطلبن يسوع المصلوب . ٦ انه ليس ههنا فانه قد قام كما قال . تعالين وانظرن الى المكان الذي كان مضجعاً فيه الرب ٧ واسرعن واذهبن وقلن لتلاميذه انه قد قام وهو يسبقكم الى الجليل وهناك ترونه . ها انا قد قلت لكن . ٨ فخرجن مسرعات من القبر بخوف وفرح عظيم وبادرن ليخبرن تلاميذه . ٩ فاذا يسوع لاقاهن وقال سلام لكن . فدنون وامسكن قدميه وسجدن له . ١٠ وحينئذ قال لهن يسوع لا تخفن . اذهبن وقلن لاخوتي ليذهبوا الى الجليل وهناك يرونني .»

انجيل القديس مرقس الفصل ١٦

«١ ولما انقضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم ام يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويحنطن يسوع . ٢ وبكرن جداً في اول الاسبوع واتين القبر وقد طلعت الشمس ٣ وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر . ٤ وتطلعن فرأين الحجر قد دحرج وكان عظيماً جداً . ٥ فلما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين عليه لباس ابيض فاندهلن . ٦ فقال لهن لا تندهلن انكن تطلبن يسوع الناصري المصلوب انه قد قام وليس هو ههنا وهوذا المكان الذي وضعوه فيه ٧ فاذهبن وقلن

[1] راجع خاصة : Lagrange, *L'Evangile de N. S. Jésus-Christ*. Paris, Gabalda, 1936, pp. 582 sqq. Prat, *Jésus-Christ*. Paris, Beauchesne 1933 pp. 433 sqq.

لتلاميذه ولبطرس انه يسبقكم الى الجليل وهناك ترونه كما قال لكم.
٨ فخرجنَ من القبر وفررنَ وقد اخذتهنَّ الرعدة والدهش ولم يقلنَ لاحد شيئاً
لانهنَّ كنَّ خائفات ٩ وبعد ما قام باكراً في اول الاسبوع تراءى اولاً
لمريم المجدلية التي كان قد اخرج منها سبعة شياطين ١٠ فانطلقت واخبرت الذين
كانوا معه وهم ينوحون ويبكون ١١ وهم اذ سمعوا بانه حي وانها ابصرته
لم يصدقوا. ١٢ وبعد ذلك تراءى بهيئة اخرى لاثنين منهم وهما يسيران
منطلقين الى البرية ١٣ فذهب هذان واخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين.
١٤ اخيراً تراءى للاحد عشر وهم متكئون وبكتهم لعدم ايمانهم وقساوة
قلوبهم لانهم لم يصدقوا الذين رأوه قد قام.»

انجيل القديس لوقا الفصل ٢٤

«١ وفي اول الاسبوع باكراً جداً اتينَ الى القبر وهنَّ يحملنَ الحنوط
الذي اعددنه ٢ فوجدنَ الحجر قد دُحرج عن القبر. ٣ فدخلنَ فلم يجدنَ
جسد الرب يسوع. ٤ وبينما هنَّ متحيرات في ذلك اذا برجلين قد وقفا
عندهنَّ بلباس برّاق ٥ واذ كنَّ خائفات ونكسنَ وجوههنَّ الى الارض
قالا لهنَّ لماذا تطلبنَ الحي بين الاموات. ٦ انه ليس ههنا لكنه قد قام.
اذكرنَ كيف كلمكنَّ وهو في الجليل ٧ اذ قال انه ينبغي لابن البشر
ان يُسلَّم الى ايدي اناس خطأة ويصلب ويقوم في اليوم الثالث. ٨ فذكرنَ
كلامه ٩ ورجعنَ من القبر واخبرنَ الاحد عشر وجميع الباقين بهذا كله.
١٠ ومريم المجدلية وحنة ومريم ام يعقوب واخر معهنَّ هنَّ اللواتي اخبرنَ
الرسل بهذا. ١١ فكان عندهم هذا الكلام كالهذيان ولم يصدقوهنَّ. ١٢ فقام
بطرس واسرع الى القبر وتطلع فرأى الاكفان موضوعة على حدة فانصرف
متعجباً في نفسه مما كان. ١٣ وان اثنين منهم كانا سائرين في ذلك اليوم الى
قرية اسمها عماوس بعيدة عن اورشليم ستين غلوة ١٤ وكانا يتحادثان عن
تلك الحوادث كلها. ١٥ وفيما هما يتحادثان ويتساءلان دنا منهما يسوع نفسه
وكان يسير معهما ١٦ ولكن امسكت اعينهما عن معرفته. ١٧ فقال لهما
ما هذا الكلام الذي تتحاوران فيه وانتما سائران مكتئبين. ١٨ فاجاب

واحد منهما اسمه كلاوبا أفأنت وحدك غريب في اورشليم ولم تعلم ما حدث بها في هذه الايام . ١٩ فقال لهما وما هو . قالا له ما يخص يسوع الناصري الذي كان رجلاً نبياً ذا قوة في العمل والقول امام الله والشعب كله ٢٠ وكيف اسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه . ٢١ ونحن كنا نرجو انه هو المزمع ان يفدي اسرائيل ولكن مع هذا جميعه فاليوم هو اليوم الثالث لحدوث ذلك . ٢٢ الّا ان نساء منا ادهشتنا لانهنّ بكرنَ الى القبر ٢٣ فلم يجدنَ جسده فاتينَ وقلنَ انهنَّ رأينَ مظهر ملائكة قالوا انه حي . ٢٤ فمضى قوم من الذين معنا الى القبر فوجدوا كما قالت النساء لكنهم لم يروه . ٢٥ فقال لهما يا قليلي الفهم وبطيئي القلب في الايمان بكل ما نطقت به الانبياء . ٢٦ أما كان ينبغي للمسيح ان يتألم هذه الآلام ثم يدخل الى مجده . ٢٧ ثم اخذ يفسر لهم من موسى ومن جميع الانبياء ما يختص به في الاسفار كلها . ٢٨ فلما اقتربوا من القرية التي كانا يقصدانها تظاهر بانه منطلق الى مكان ابعد . ٢٩ فألزماه قائلين امكث معنا لان المساء مقبل وقد مال النهار فدخل ليمكث معهما . ٣٠ ولما اتكأ معهما اخذ خبزاً وبارك وكسر وناولهما . ٣١ فانفتحت اعينهما وعرفاه فغاب عنهما . ٣٢ فقال احدهما للاخر أما كانت قلوبنا مضطرمة فينا حين كان يخاطبنا في الطريق ويشرح لنا الكتب . ٣٣ وقاما في تلك الساعة ورجعا الى اورشليم فوجدا الاحد عشر والذين معهم مجتمعين . ٣٤ وهم يقولون لقد قام الرب في الحقيقة وترآءى لسمعان . ٣٥ فاخذا هما يخبران بما حدث في الطريق وكيف عرفاه عند كسر الخبز . ٣٦ وبينما هم يتحدثون بهذه وقف يسوع في وسطهم وقال لهم السلام لكم انا هو لا تخافوا .»

انجيل يوحنا الفصل ٢٠

«١ وفي اول الاسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر في الغداة والظلام باقٍ فرأت الحجر مدحرجاً عن القبر . ٢ فاسرعت وجاءت الى سمعان بطرس والى التلميذ الاخر الذي كان يسوع يحبه وقالت لهما قد اخذوا الرب من القبر ولا نعلم اين وضعوه . ٣ فخرج بطرس والتلميذ الآخر واقبلا الى القبر .

٤ وكانا مسرعين معاً فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء الى القبر اولاً ٥ وانحنى فرأى الاكفان موضوعة لكنه لم يدخل . ٦ ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر فرأى الاكفان موضوعة ٧ والمنديل الذي كان على رأسه غير موضوع مع الاكفان بل ملفوفاً في موضع على حدته . ٨ فحينئذ دخل التلميذ الآخر الذي جاء اولاً الى القبر فرأى وآمن ٩ لانهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب انه ينبغي ان يقوم من بين الاموات . ١٠ وذهب التلميذان الى موضعهما . ١١ اما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي وفيما هي تبكي انحنت الى القبر ١٢ فرأت ملاكين بثياب بيض جالسين حيث وُضع جسد يسوع احدهما عند الرأس والآخر عند الرجلين ١٣ فقالا لها يا امرأة لِمَ تبكين . فقالت لهما انهم اخذوا ربي ولا اعلم اين وضعوه . ١٤ فلما قالت هذا التفتت الى خلفها فرأت يسوع واقفاً ولم تعلم انه يسوع . ١٥ فقال لها يسوع يا امرأة لِمَ تبكين مَن تطلبين فظنت انه البستاني فقالت له يا سيدي ان كنت انت حملته فقل لي اين وضعته وانا آخذه . ١٦ فقال لها يسوع مريم . فالتفتت وقالت له رابوني الذي تفسيره يا معلم . ١٧ قال لها يسوع لا تلمسيني لاني لم اصعد بعد الى ابي بل امضي الى اخوتي وقولي لهم اني صاعد الى ابي وابيكم والهي والهكم . ١٨ فجاءت مريم المجدلية واخبرت التلاميذ انها رأت الرب وانه قال لها هذا .»

***

فمن مطالعة هذه الروايات ومقابلتها مع بعضها ومن درس دقائقها درساً صحيحاً يتبين مجلاً امران نظن انه باشراق النور عليهما تنجلي غوامض الصعوبة التي قد طالما القت بعض الغشاوة على وجه الحقيقة الناصع في هذه القضية :

الاول : نظن بل نؤكد ان النساء المذكورات في روايات القيامة لم يكنَّ عارفات بختم القبر بامر الحكومة وبوجود الحراس عليه والّا لما كنَّ اشترينَ الحنوط والاطياب وتجرأنَ على المجيء اليه قصد نزع الحجر عن بابه لتحنيط جسد يسوع . بل لما كان خطر ببالهنَّ ابداً ان يقدمنَ على عمل كبير كهذا يترتب عليه ما يترتب من عظيم المسؤولية ويعود عليهنَّ بارخم العواقب كما هو

واضح وخصوصاً في تلك الظروف الحرجة الدقيقه التي وُجد فيها يومذاك اتباع يسوع الناصري.

وانه لامر طبيعيٌ جداً ان تكون هؤلاء النساء جاهلات ما جرى بعد دفن يسوع بين رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وبين بيلاطوس الحاكم بشأن ختم القبر بخاتم الحكومة واقامة الحراس عليه الى ان تنقضي الايام الثلاثة التي كان تنبأ المسيح انه ينبعث من الموت عقيب انقضائها . لانهنٌ على اثر دفن جسد السيد رجعنَ الى بيوتهنٌ باكيات حزينات لا يلوينَ على شيء . وبعد ان اشترينَ الحنوط والاطياب اللازمة للتحنيط قبل حلول السبت قررنَ مثل غيرهنٌ من اليهود على حسب الوصية كما ذكر القديس لوقا ولم يجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون الى بيلاطوس بشأن ختم القبر وحراسته الّا في الغد الذي بعد التهيئة اي صباح السبت اذ كانت النسوة قارات في بيوتهنٌ عملًا بالناموس.

الثاني ان مريم المجدلية ومريم الاخرى التي هي ام يعقوب وام يوسى ذهبتا وحدهما في غلس السبت المسفر عن اول الاسبوع اي في سحر يوم الاحد باكرًا « لتنظرا القبر » حسب رواية القديس متى. فنظن بل نرجح بل نؤكد ان ذهابهما على هذا الوجه وفي هذا الوقت كان للاستطلاع فقط. وهذا ما يعنيه الانجيلي بقوله : « لتنظرا القبر » اي لتريا ما اذا كان جدٌ شيءٌ على القبر من تعدٍ او تحقير او غير ذلك لانهما كانتا تعرفان بغض اليهود للمسيح حتى اذا وجدتاه صحيحاً سالماً تعودان عند طلوع الفجر مع رفيقاتهما النساء الاخريات لتحنيط جسد يسوع. وبرهاننا على ذلك هو :

١ً : لم يذكر القديس متى كونهما حملتا معهما الحنوط لتحنيط جسد يسوع مع ان القديس مرقس والقديس لوقا يذكران صريحاً ان المجدلية نفسها ورفيقتها مع بقية النساء اشترين الحنوط والاطياب قبل حلول السبت وعقيب انقضائه لاجل تحنيط جسد يسوع.

٢ً : وعلى فرض انهما اخذتا معهما الحنوط وقد اغفل القديس متى ذكر ذلك فهل يعقل ان تذهبا وحدهما للعمل المذكور وقد كانتا تواعدتا ضمناً حسب رواية القديس لوقا مع بقية النسوة رفيقاتهما قبل حلول السبت حين اشترينَ

الحنوط والاطياب على ان يأتين معاً عقيب انقضاء السبت الى القبر لاتمام هذا العمل المبرور. وما هو الداعي لانفرادهما بهذا العمل دون بقية رفيقاتهما. وهل يُعقل ان تُجربا وحدهما تحنيطاً ثم تعود بقية النساء رفيقاتهما تُجربن تحنيطاً آخر ؟

٣ : واذا كانت مريم المجدلية ورفيقتها مريم الاخرى ورفيقتها الثالثة سالومة حسب رواية القديس مرقس — ولا شك في ان بقية النساء كن معهن اذ ذاك حسب رواية القديس لوقا — كنّ يتساءلن في الطريق عمن تواه يدحرج لهنّ الحجر عن باب القبر. فهل من المعقول ان تكون مريم المجدلية ومريم الاخرى رفيقتها قادرتين وحدهما من دحرجة الحجر في ذلك الليل وفي ذلك المكان المنفرد ؟

٤ : اذا اخذنا رواية القديس متى على ما هي نجد فيها ان مريم المجدلية ومريم الاخرى ذهبتا وحدهما الى القبر . ولما صارت الزلزلة وخاف الحراس وصاروا كالاموات خاطب الملاك النسوة وقال لهنّ : « لا تخفنّ » فخطاب الملاك هو بصيغة الجمع لا بصيغة المثنى وقد كان الواجب ان يكون بصيغة الجمع لان مريم المجدلية ومريم الاخرى لم يكن معهما احد آخر. واذا قيل ان انجيل القديس متى كتب باللغة الآرامية ولا مثنى في هذه اللغة اجبنا . اجل ان القديس متى كتب انجيله بالارامية وهذه اللغة لا مثنى فيها للافعال بل ان صيغة المثنى وصيغة الجمع في الافعال هي واحدة . فيقال للامرأتين لا تخفنّ ويقال للنسوة لا تخفنّ . غير ان الاسماء تثنى بوضع لفظة اثنين للمذكر واثنتين للمؤنث امام الاسم مجموعاً كما جاء في انجيل القديس متى نفسه: صعدتا اثنتين يوحنا (٢٠—٣٠) صعدوا معهما اثنين مع اخوتهما يوحنا (٢١—١). صعدا جميع بعضهما كبعض واثنتين واثنتين (١٤—١٩) فكان يجب ان يقال : « فأجاب الملاك وقال للامرأتين : لا تخفنّ انتا » وفوق ذلك فان انجيل القديس متى ترجم حالاً بعد كتابته بالارامية الى اللغة اليونانية . ومنهم من يقول ان ترجمته الى اليونانية كانت بقلم القديس متى نفسه . ومنهم من قال كلا بل تمت تحت

اشرافه . وفي كلا الحالين قد تبناها هو . واللغة اليونانية مثل اللغة العربية تُثنى فيها الاسماء والافعال وكل ترجمات انجيل القديس متى بعد ذلك أُخذت عن الترجمة اليونانية حتى ان غير واحد من العلماء تمكن ان يقول ان القديس متى كتب انجيله باليونانية . واذا قيل ان المثنى قلَّ استعماله في اللغة اليونانية في العهد الذي كتب فيه القديس متى انجيله اجبنا لا بأس ولكنه كان على المترجم ان يترجم لفظة لتوما السريانية بلفظة ... كما ترجمها في غير مواضع من الانجيل عندما اراد ان يعبر عن المثنى كما مرَّ آنفاً . فيتضح من ذلك ان رواية القديس متى من اول الفصل الثامن والعشرين لغاية العدد الخامس منه غير مرتبطة بما بعدها لفظاً ومعنىً بحيث يلزم ان يكون قول الملاك للنسوة لا تخفنَ موجهاً الى مريم المجدلية ومريم الاخرى اللتين اخبر الانجيلي عنهما في العدد الاول من الفصل نفسه بانهما ذهبتا لتنظرا القبر بل يجب ان نتأكد انه قد تخلل بين ذهاب المجدلية ورفيقتها وحدوث الزلزلة وارتعاد الحراس وبين مخاطبة الملاك للنسوة بقوله لهن لا تخفنَ زمن غير قصير يفصل ما بعده عما قبله .

٥ً : اذا لم يكن سبق للمجدلية ورفيقتها مريم ام يعقوب ان حضرتا قبل بقية النساء الى حيث القبر فكيف نوفق بين قول القديس مرقس : « بكرنَ جداً في اول الاسبوع واتينَ القبر وقد طلعت الشمس » كيف نوفق بين التبكير جداً وطلوع الشمس وكل المسافة بين اورشليم وبستان يوسف الرامي لا تتجاوز بعض مئات الامتار . وكيف نوفق بين رواية القديس متى الذي لم يذكر في المجيء الى القبر سوى المجدلية ومريم الاخرى وبين رواية القديس مرقس والقديس لوقا اللذين يذكران غيرهما كثيرات من النساء .

فاذا تقرر ذلك نأتي الان على سرد وقائع القيامة بحسب ترتيبها كما يبدو لنا مستندين على اقوال الانجيل : لما ثبت لدى بيلاطس موت يسوع سمح لنيقوديموس ويوسف الرامي ان ينزلا جسده عن الصليب ويدفناه فأتم هذان الرجلان التقيان هذا العمل المبرور بحضور القديسة مريم والدته وبقية النساء اللائي كنَّ يرافقنه . وقد انما ذلك على عجل نظراً لقرب حلول

السبت وما كادا ينتهيان من الدفنة حتى رجع كل الى بيته ليحتفل بالفصح حسب الشريعة والنساء ايضاً رجعن الى بيوتهن ومنهن من اشترى حنوطا واطياباً في مساء ذلك اليوم قبل حلول السبت . ومنهن ومن اللواتي تأخرن على الجلجلة من ابقى مشترى ذلك الى مساء اليوم التالي اي عند انتهاء السبت وذلك لاجل المجيء الى القبر صباح الاحد لتحنيط جسد يسوع الذي كان اتاه يوسف الرامي ونيقوديموس بسرعة ولم يكن في نظر هؤلاء النساء الصالحات المحبات يكافئ لذلك الجسد الالهي.

ففي غلس السبت المسفر عن اول الاسبوع اي في سحر الاحد جاءت مريم المجدلية ومريم الاخرى لتنظرا القبر اذا كان باقياً على حاله كما تركتاه يوم الجمعة مساء لا لتحنطا جسد يسوع كما سبق القول وحين صارتا على مقربة من البستان حيث هو القبر حدثت الزلزلة المذكورة في الانجيل القديس متى فاضطرب الحراس وارتعدوا واضطربت ايضاً المجدلية ورفيقتها . اما اضطراب الحراس وارتعادهم فلأنهم ابصروا القبر قد فُتح بغتةً وخرج منه ظافراً من كانوا قتلوه من يومين مضيا . واما اضطراب المجدلية ورفيقتها فلانهما شعرتا بالزلزلة وابصرتا اولئك الجنود حوالي القبر دون ان يكون عندهما سابق معرفة بوجودهم هناك فظنتا انهم انما اتوا ليكملوا اهانة جسد يسوع او لغاية اخرى . فرجعتا على اعقابهما خائفتين مضطربتين قبل ان تصلا الى القبر ولم تميزا شيئاً مما حدث لا من حيث فتح القبر ولا من حيث حالة الحراس الذين صاروا كالاموات لان الظلام كان لا يزال باقياً . وهذا طبيعي جداً اذا ما لاحظنا الحادث من كل وجوهه ولاحظنا معه طبيعة النساء الضعيفة . وبوصولها الى المدينة كانت بقية النساء رفيقاتهما على اهبة الذهاب الى القبر ليحنطن جسد يسوع وربما كنّ بانتظار رجوعهما اليهن لتخبراهنّ بما رأتا من حالة القبر . لان انفراد المجدلية ومريم ام يعقوب رفيقتها بالمجيء لتنظرا القبر لا بد من ان يكون جرى بمعرفة بقية النسوة . فحملن الاطياب والحنوط واتين القبر عند طلوع الفجر لان ما ابصرته المجدلية ورفيقتها عند القبر جعلهن ولا

شك يتأخرن الى ذلك الوقت اي الى ان يكون بزغ النهار. وكنّ يقلنّ فيما بينهن على الطريق: من تراه يدحرج لنا الحجر عن باب القبر. وهذا مما يؤكد ان المجدلية ورفيقتها مريم الاخرى لم تقدمتا في المرة السابقة الى القبر والا لما كانتا تقولان مع النسوة: من تراه يدحرج لنا الحجر عن باب القبر. لانه قد كان دُحرج. ولا كانتا تهتمان بعدُ في امر التحنيط. وقد قال لهما الملاك ان المسيح قام من بين الاموات.

ويوصلهنّ الى القبر لم يجدن احدًا من الحراس فتقدمن من القبر فرأين الحجر قد دُحرج. وعندما دخلنَ الى القبر لم ترين جسد يسوع فاخذتهن الحيرة. وللحال قبل اي بحث او انتظار اسرعت مريم المجدلية وحدها راجعة الى المدينة لتخبر بطرس ويوحنا بما حدث حسب رواية القديس يوحنا قائلة: قد اخذوا الرب من القبر ولا نعلم اين وضعوه. كأنها تشير بذلك الى الجنود الذين كانت رأتهم مع رفيقتها في المرة الاولى. فظنت انهم اخذوه ليكملوا اهانته. واخبرت المجدلية بطرس ويوحنا دون غيرهما من الرسل لانه يرجح ان يكون هذان الرسولان في ذاك الوقت دون غيرهما عند البتول مريم بعد ما تركتها النسوة وذهبن الى القبر يعزيانها في حزنها ويستخبرها بطرس عن انكاره ابنها في ليلة الآلام. ورجوع المجدلية الى المدينة كان قبل ظهور الملاك للنسوة حسب رواية القديس متى والقديس مرقس وظهور الملاكين حسب رواية القديس لوقا كما هو واضح والا لما كانت قالت لبطرس ويوحنا ما قالت: فرجوعها الى المدينة صار «عندما كن متحيرات» حسب قول القديس لوقا لانه لا شك قد تخلل بعض الوقت بين وصول النساء الى القبر وبين ظهور الملائكة لهنّ بدليل هذا القول: «بينما كنّ متحيرات واذا برجلين قد وقفا عندهنّ بلباس برّاق» فلا بد ان تكون هذه الحيرة استغرقت فترة من الزمان.

فللحال اسرع بطرس ويوحنا مع المجدلية الى حيث القبر. ولما وصلوا لم يشاهدوا احدًا هناك لان النسوة بعد ان تركتهنّ مريم المجدلية في حيرتهنّ ورجعت الى المدينة ظهر لهنّ الملاك واخبرهن بقيامة المسيح

وامرهن بالرجوع الى المدينة ليخبرن الرسل بذلك. اما هنّ فخرجنّ من القبر وفررن وقد اخذتهنّ الرعدة والدهشة والفرح ولم يقلن لاحد شيئاً لانهنّ كنّ خائفات. فدخل اولاً بطرس الى القبر ثم دخل يوحنا ولم يشاهدا جسد الرب بل وجدا الاكفان والمنديل ملفوفة وموضوعة بترتيب فخرجا من القبر «ورجعا الى موضعهما» اما المجدلية فبقيت وحدها عند القبر تبكي. وعندما انحنت متفرسة في داخل القبر ابصرت ملاكين بثياب بيض فقالا لها: يا امرأة لِمَ تبكين. فقالت لهما: انهم اخذوا ربي ولا اعلم اين وضعوه. وكأنها شعرت بحركة وراءها فالتفتت الى خلفها فرأت يسوع واقفاً ولم تعلم انه يسوع لانها لم تتفرس في وجهه. واذ سألها يسوع لِمَ تبكين ومن تطلبين قالت له يا سيدي ان كنت انت حملته فقل لي اين وضعته وانا آخذه. قال لها يسوع: مريم. فعرفت انه الرب فجاءت مريم واخبرت التلاميذ بما رأت وسمعت.

وفي تلك الاثناء اي بينما كان بطرس ويوحنا والمجدلية عند القبر كانت بقية النساء راجعات الى المدينة بعد ان رأين الملاك وبشرهنّ بقيامة المسيح. فبينما كن في الطريق لاقاهن يسوع وقال: سلام لكنّ. واذ ذاك اسرعن ودخلن المدينة واخبرن الرسل بما جرى معهنّ. وظور المسيح لهنّ كان عقيب ظهوره للمجدلية قرب القبر «لانه تراءى للمجدلية اولاً» حسب قول القديس مرقس. وفي عصر ذلك اليوم ظهر المسيح لتلميذي عماوس كما هو مدون في انجيل القديس لوقا. وقد كان تراءى في النهار ايضاً لبطرس. وفي مساء اليوم ظهر لبقية التلاميذ معاً دون توما وهم متكئون يتحدثون بهذه الامور. وبعد ثمانية ايام ظهر المسيح ايضاً للفيف تلاميذه وتوما كان بينهم وقال لتوما: هات اصبعك الى هنا وعاين يديّ وهات يدك وضعها في جنبي وكن مؤمناً لا غير مؤمن. وهكذا دواليك مدة اربعين يوماً كان ختامها يوم خميس الصعود

هكذا جرى سياق الحوادث في قيامة المسيح على ما ظهر لنا ونظن

اننا على صواب من الامر. ولنأخذ الان في ايراد اهم الصعوبات التي قد يعترض بها ونحلها كما نرى :

يقال اولاً : انه يوجد اختلاف في سرد الحوادث . فكل من الانجيليين الاربعة يورد حادثة القيامة وظروفها المرافقة بشكل لا يأتلف مع ما يورده الاخر .

اجل ان لكل من الانجيليين طريقة مخصوصة للاخبار كما ان لكل منهم غاية في كتابة انجيله . فكما انهم لم يتفقوا على طريقة واحدة بينها في سرد عجائب المسيح وتدوين اقواله وتعاليمه ، بل كل منهم كتب شيئاً وترك غيره او كتبه على شكل لم يكتبه غيره عليه حسبما تحققه هو او رآه اوفر ملاءمة للغاية التي توخاها من الكتابة ، هكذا فعلوا في سرد حادثة القيامة وما رافقها من الظروف. وهي امري طريقة فضلى ارادها بحكمته الله تعالى . وحي الكتاب المقدس وملهمه يتجلى بها وجه الصواب الجميل ويتلألأ معها الصدق والحقيقة الكاملة. لانه لو ان الكتبة الملهمين كتبوا الحوادث كلها بشكل واحد وعبارة واحدة لكان الريب في صدق روايتهم حظ وافر ولكان الخصوم يجدون فيه مجالاً واسعاً للتقول والتجني اذ يسهل جداً ان يقال اذ ذاك : ان التواطؤ اصبغ في العمل. وهل يُعقل ان يرى قوم امرًا او يسمعوا خبرًا وخصوصاً اذا كان كثير التشعب ويدونونه او يوردونه بعد حين كلهم وكلٌ على انفراد بالحرف الواحد والطريقة الواحدة اللهم اذا استثنينا التواطؤ بينهم ؟

لقد كان للصعوبة قوة لو وُجد تناقض حقيقي بين قول وقول بمعنى ان واحداً ينفي ما يثبته آخر او يثبت ذاك ما ينفيه هذا . ولكن ان يورد انجيلي ظرفاً من الظروف لا يورده انجيلي آخر او يسرد خبرًا ما سرده غيره دون ان يكون في ما اورده هذا الثاني وسرده اثبات لما نفاه ذاك الاول او نفي لما كان اثبته فليس في ذلك شيء من التناقض. فاذا ما قال مثلاً القديس متى ان النسوة رأين ملاكاً عند القبر وقال

القديس لوقا انهنّ رأين ملاكين فهل من تناقض في قولهما؟ الا يجوز ان تكون النساء اتين مرتين الى القبر وفي المرة الاولى ابصرن ملاكاً وفي المرة الثانية ابصرن ملاكين. وكل من الانجيليين المذكورين اشار الى احدى هاتين المرتين؟ او ألا يجوز ان يكون احد الملاكين وُجد في داخل القبر والاخر وُجد واقفاً خارجه. فاشار القديس متى الى احدهما فقط والقديس لوقا الى الاثنين معاً؟

فالانجيليون الاربعة متفقون على حادث القيامة وهذا هو الامر المهم وهي الغاية التي كانوا يقصدونها وقد ارادوا اثباتها وقد اثبتوها. اما الظروف التي رافقت الحادث فلم تكن لها تلك الاهمية التي يريد الخصوم اليوم ان يعلقوها عليه. ولذلك لم يهتم الانجيليون يومذاك لكل هذه الظروف كما يهتم لها اليوم من يريدون انكار حادثة القيامة. فضلاً عن ان الانجيليين كتبوا اناجيلهم في وقت كانت حادثة القيامة وكل ظروفها معلومة بالكفاية لدى سامعي الانجيل اذ كان الكثيرون بينهم شهودًا عيانيين لذلك او اقله سامعين لهؤلاء الشهود العيانيين. فما كانوا بالحاجة الى فصل كل هذا التدقيق الذي نريده اليوم نحن الذين يفصلنا عن تلك الحادثة نحو من الفي سنة.

وفوق ذلك ان هذا الاختلاف العرضي في سرد الحوادث الانجيلية يزيد في اثبات الحقيقة المراد بيانها لانه لو ان الانجيليين يكتبون امورًا غير واقعة لكانوا يكتبونها بصورة منظمة متفق عليها لا تترك مجالاً لاقل اعتراض او صعوبة بحيث يكونون اذ ذاك كمن يؤلف قصة على هواه ولكنهم يكتبون امورًا وقعت بالفعل فهم يكتبونها كما هي جرت لا كما يريدون هم ان تكون جرت.

يقال ثانيًا: القديس متى يذكر ان مريم المجدلية ومريم الاخرى فقط جاءتا في غلس الاحد الى القبر بينما القديسان مرقس ولوقا يذكران غيرهما من النساء.

ان الرد على هذه الصعوبة الثانية قد اوضحناه بالكفاية فيما سبق اي

عندما اتينا ان مجيء مريم المجدلية ورفيقتها مريم الاخرى وحدهما حسبما ذكره القديس متى انما هو مجيء استطلاع لحالة القبر وليس هو المجيء الثاني مع سائر النسوة لاجل تحنيط جسد يسوع كما اورده القديسان مرقس ولوقا.

يقال ثالثاً: يقول القديس مرقس اتت النسوة الى القبر وقد طلعت الشمس. ويقول الانجيليون الآخرون: اتين في السحر الباكر حينما كان ظلام. بل ان القديس مرقس نفسه يقول: وبكرن جداً في اول الاسبوع واتين القبر.

ان القديس مرقس يقول: «لما انقضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم ام يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويحنطن يسوع» فهو لم يقل «اتين» بل «ليأتين» فليس اذن من الواجب ان نجزم في كون هؤلاء النساء الثلاث اتين الى القبر في ذلك الوقت اي عندما انقضى السبت. فهذا معنى كامل مستقل بذاته عما بعده. اما استتلاوه القول: «وبكرن جداً في اول الاسبوع واتين القبر وقد طلعت الشمس» فهو معنى آخر مستقل عن الاول وقد تخلل ليلٌ بكامله بين مشترى الحنوط وعزمهن على المجيء الى القبر وبين مجيئهن فعلاً الى هناك: فكأن مشترى الحنوط حسب الرواية المشار اليها التي قامت به النساء الثلاث اي المجدلية ومريم ام يعقوب وسالومة لا ينفي عن غيرهن ايضاً مشترى مثله. هكذا التبكير في الاتيان الى القبر قصد التحنيط لا برهان اكيداً عليه كونه تم منهن دون غيرهن. فالقديس لوقا يقول ان النساء اللواتي تبعنه من الجليل (والمجدلية ورفيقتاها لا شك منهنَّ) اتين باكراً الى القبر وهن يحملن الحنوط الذي كنَّ اعددنه قبل حلول السبت. وليس من يرتاب في كون هؤلاء النساء التقيات كانهن قد كنَّ توافقن منذ يوم الجمعة عقيب دفن المسيح على مشترى الاطياب والمجيء معاً صباح الاحد الى القبر لاجل تحنيط جسد يسوع كما يجب ان لا يرتاب احد في كون هؤلاء النساء جميعهن اتين معاً الى القبر صباح الاحد للغاية المذكورة. فلاجل

حل هذه الصعوبة اي التوفيق بين المجيء باكراً جداً وبين طلوع الشمس يحسن ان نعود الى ما قلناه سابقاً من ان مريم المجدلية ومريم الاخرى قد حضرتا في الصباح الباكر جداً لتنظرا القبر. وهذا المجيء الاول قد صار ولا شك بمعرفة ومرافقة بقية النساء حتى اذا رجعتا اليهنّ واخبرتاهنّ بان القبر باق على حاله اتين جميعهن ومعهنّ الطيوب لاجل التحنيط. فالقديس مرقس يشير بقوله: «وبكرن جداً في اول الاسبوع واتين القبر وقد طلعت الشمس» الى المجيئين معاً اي الى المجيء الاول الذي قامت به المجدلية ومريم الاخرى في السحر الباكر جداً والى المجيء الثاني الذي قامت به كل النساء عند طلوع الشمس. كون المجيء في المرتين انما كان بمعرفة ومرافقة الجميع فاعتبره كأنه مجيء واحد من حيث وحدة الغاية التي هي تحنيط جسد يسوع. وهكذا فعل القديس يوحنا بقوله: «في اول الاسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر في الغداة والظلام باق فرأت الحجر مدحرجاً عن القبر» فهو قد اشار الى المجيئين معاً لان المجدلية لم تر الحجر مدحرجاً الا في المرة الثانية عندما اتت مع بقية النساء. وهكذا القول عن القديس لوقا.

يقال رابعاً: يقول القديس متى بظهور ملاك واحد للنسوة ومثله القديس مرقس. اما القديس لوقا والقديس يوحنا فيقولان بظهور ملاكين.

اجل ان القديسين متى ومرقس يشيران الى ملاك واحد والقديسين لوقا ويوحنا يشيران الى ملاكين. انما يقول القديس متى عن الملاك انه كان جالساً فوق الحجر الذي دحرجه عن باب القبر اي كان خارج القبر. ويقول القديس مرقس ان الملاك الذي ظهر للنسوة كان داخل القبر جالساً عن اليمين. فملاك القديس متى هو اذن غير ملاك القديس مرقس. فالقديس متى والقديس مرقس تكلم كلٌ منهما عن ملاك دون ان ينفي وجود الملاك الاخر. اما القديسان لوقا ويوحنا فاشارا الى الملاكين معاً. وليس في الامر اقل تناقض.

يقال خاصاً : ان المسيح لم يدع المجدلية تلمسه وقد سمح للنساء ان يمسكن قدميه.

اذا كان وجه الصعوبة من حيث التناقض في الكلام من ان يوحنا ينفي ما اثبته متى اجبنا ان ما وقع للمجدلية هو حادث مختلف عن حادث بقية النسوة . فالمجدلية كانت وحدها عند القبر عندما ابصرت يسوع وقال لها : « لا تلمسيني » والنساء دون المجدلية كنّ راجعات من القبر الى المدينة عندما لاقاهن يسوع وقال سلام لكنّ فامسكن قدميه وسجدن له. فليس اذن لمس المسيح وعدم لمسه في حادث واحد بعينه .

اما اذا كان وجه الصعوبة من حيث المعنى اي لماذا سمح المسيح لبقية النساء ان يمسكن قدميه ولم يسمح للمجدلية بهذا الشرف. اجبنا بقصر الرأي اذا ما لاحظنا السبب الذي بنى عليه المسيح عدم السماح للمجدلية بلمسه وهو: « لاني لم اصعد بعد الى ابي » وقابلناه مع الفصل الرابع عشر من انجيل القديس يوحنا حيث يقول المسيح لتلاميذه : « لا تضطرب قلوبكم انتم تؤمنون بالله فآمنوا بي ايضاً. ان في بيت ابي منازل كثيرة والا لقلت لكم فاني منطلق لاعد لكم مكاناً. واذا انطلقت واعددت لكم مكاناً آتي وآخذكم الي لتكونوا انتم حيث اكون انا . » وتأملنا جيداً بروح التقوى المسيحية وتفهمنا بالروح معنى هذا الكلام الالهي البديع الذي يملأ القلب فرحاً وتعزية لمات لعيني عقلنا بارقة نور يمكننا ان نسير على ضوئها الى ابواب الحقيقة التي ارادها السيد له المجد بقوله : « لا تلمسيني. » ليس المقصود هنا من اللمس ان تقبّل المجدلية اقدام المسيح او ان تلمس بيدها جراحاته المقدسة. والا لما كان سمح به المسيح للنساء الاخريات ولا كان حرض الرسل عليه بقوله لهم عند ظهوره بعد قيامته: جسوني وانظروا ان الروح ليس له لحم وعظام.» وبقوله لتوما على الخصوص : « هات اصبعك وادخله في جراح يدي وهات يدك وامددها في جنبي » لان السبب الذي من اجله لم يسمح للمجدلية بلمسه « هو لاني لم اصعد بعدُ الى ابي » كان لا يزال باقياً . فاذا تعالت محبته ورأفته سمح به بل حرّض عليه الاخرين فهل كانت المجدلية اقل استيهالاً

لهذا السماح وهي التلميذة المحبة والمحبوبة اكثر من الجميع والتي تستحق مثلهم ان لم نقل اكثر منهم عطف الرب وحنوه لانها ثبتت امينة في محبتها الى النهاية ! فالمعنى الذي يريده المخلص بكلمته « لا تلمسيني لاني لم اصعد بعد الى ابي » هو على ما يظهر لنا « لا تمسكيني » اي لا تحاولي امساكي للبقاء معك او للذهاب معي.

فكأني بالمجدلية وفي قلبها ما فيه من الشغف والشوق عندما ابصرت المسيح قائماً من القبر وهتفت « رابوني » بعدما سمعت صوته وعرفت انه الرب انطرحت على الارض وامسكت قدميه المقدستين وقبلتهما وذرفت عليهما دموع الفرح والابتهاج ومسحتهما بشعر رأسها ولسان حالها يقول مع عروس النشيد : وجدتُ من احبتهُ نفسي فامسكه ولا اطلقه (نشيد ٣ : ٤) واذ شعرت ان المسيح يريد تركها سألته ان يأخذها معه لانها لا تطيق فراقه بعد مذكرة اياه بوعده السابق : « واذا انطلقت واعددت لكم مكاناً آتي وآخذكم الي لتكونوا انتم حيث اكون انا » فاجابها بما اجابها اي اني حتى الان لم اصعد الى أبي لأعد لكم هذا المكان الموعود وآخذكم اليه مع اني لا ازال على وعدي هذا. ويدل على ذلك قوله تعالى مستثنياً : « بل امضي الى اخوتي وقولي لهم اني صاعد الى ابي وابيكم والهي والهكم . » فحرف الاضراب « بل » يشير بالكفاية الى ان المجدلية قد كانت الحت على المسيح ان يأخذها معه لانها لا تريد الانفصال عنه فقال لها : « لا بل امضي الى اخوتي » ولن يكون موعد اللقاء بيننا ببعيد. وهذا الالحاح الضمني من المجدلية لتذهب مع المسيح يقابله ذاك الالحاح الصريح من المجنون الذي كان فيه لجاون ليكون مع المسيح بعد ان اخرج منه الشياطين كما يقابل جواب المسيح لهذا المجنون . « بل امضِ الى بيتك لدى اهلك واخبرهم بما صنع الرب بك . مرقس ٥-١٩ » جوابه تعالى للمجدلية : « بل امضي الى اخوتي »

يقال سادساً واخيراً : اما كان الانسب والاطبق للصواب ان يشهر المسيح قيامته على اعدائه وعلى الناس اجمع بصورة حافلة وبشكل لا يمكن الشك

فيه بنوع من الانواع فكان بذلك يسد كل فم ويلقم الحجر كل مكابر ويسهل الايمان لمحبيه ؟

وهكذا يقول الكافرون والملحدون والضعيفو الايمان عن كل اعمال الله لانهم يريدون ان يخضعوا اعمال العلي لتقدهم القاصر واحكامهم الضعيفة . فجوابنا لهؤلاء وامثالهم ان الله تعالى في اعماله واقواله لا يراعي احكام البشر واقوالهم حسبه ان يعمل الخير وان ينادي بالحقيقة وغاية القيامة هنا اقام عمل الفداء للبشر وليس اقناع الملحدين. فلا فهمهم يزيد شيئاً على حقه الثابت الى الابد ولا عدم فهمهم ينقص شيئاً منه . ومن يحاول ادراك غير التدابير الالهية يزح تحت اعبائها الثقيلة بحسب قول الحكيم : « ان البحث عن الجلال يُعمي (امثال ٢٥ــ٢٧). ولو كان الله اعلن قيامة ابنه بهذا الشكل البشري الواضح الذي يريده هؤلاء الضعيفو الايمان ؟ فاين كان الايمان ؟ وهل يبقى لهذه الفضيلة السامية من اجر او استحقاق ؟

ونختم قولنا وهو اجمل ختام بكلمة المسيح لتلميذه الكثير الشك والارتياب القديس توما : « الان لانك رأيتني يا توما آمنت فطوبى للذين لم يروني وآمنوا. »